

## الجلب في استراتيجية الثورة التحريرية الجزائرية 1954 - 1962

### The mountain in the strategy of the Algerian revolution 1954- 1962

أ.د. بوشنافي محمد

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة سيدي بلعباس - الجزائر

bouchenafi22@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2021/11/12 تاريخ القبول: 2021/11/29 تاريخ النشر: 2021/12/30

#### **ABSTRACT :**

The Algerian mountain played an important role during the Algerian revolution between the years 1954 and 1962. The mujahedin were able to suitable for the difficult life in the mountain, they built cazemas in order to use them to hide from the enemy or as centers of treatment of the sick and injured mujahedin. The mountain was also a meeting place between the leaders of the revolution to discuss the future of independent Algeria and take political and military decisions.

**Keywords:** Algerian revolution; the war; Aurès mountain; Amirouche Ait Hamouda; Thamer mountain; Cazemas; mujahedin; Si- El- Haous; Challe; independence.

الملخص:

ساهمت تضاريس الجزائر - وخاصة الجبال - في ترجيح كفة الحرب لصالح قوات جيش التحرير الجزائري في كثير من المعارك، ذلك أن هؤلاء استطاعوا التأقلم مع هذه الأماكن واستغلالها لصالحهم، كما مكنت الجبال المجاهدين وكذا المدنيين من إيجاد ملاجئ تحميهم من قمع ورد فعل السلطات الاستعمارية الفرنسية. إن موضوع الجبل وعلاقته بالثورة التحريرية ما

زال في رأينا من المواضيع الخصبية الجديرة بالدراسة والبحث، يضاف إلى ذلك أنها من الأماكن الطاهرة التي مازالت إلى يومنا هذا تضم كثيرا من رفات شهدائنا الأبرار.

اتخذت قيادة الثورة من الجبال مقرات وأماكن لأهداف سياسية واجتماعية، فكانت مراكز لاجتماع القيادات السياسية وكذا العسكرية لاتخاذ القرارات المصيرية للثورة، كمؤتمر الصومام 1956 وما انجر عنه من قرارات مصيرية تم مستقبل الثورة، كما كانت ملاجئ للراحة واستعادة الأنفاس لجنود جيش التحرير، ومراكز طبية لعلاج الجرحى والمصابين في المعارك ضد العدو الفرنسي. ونظرا لأهميتها الإستراتيجية والإنسانية اتخذ العدو الفرنسي سلسلة من الإجراءات العسكرية بهدف القضاء على الثورة في الجبال، كاعتماد سياسة الأرض المحروقة والمناطق المحرمة حيث منع على الجزائريين التواجد بها. يدفعنا كل ما سبق ذكره إلى طرح مجموعة من الإشكاليات ذات الصلة بموضوع الجبل والثورة التحريرية زمنها على سبيل المثال: كيف استغل رجال جيش التحرير الجبل لتحقيق التفوق على القوات الفرنسية؟ ما هو رد فعل العدو على هيمنة جيش التحرير على الجبال؟

**الكلمات المفتاحية:** الثورة التحريرية؛ المغارات والكهوف؛ الجنرال شال؛ جبال الأوراس؛ جبل ثامر؛ المناطق المحرمة؛ الملاجئ؛ حرب الكمائن؛ شيهاني بشير؛ غابة البراجة؛ الكازمة.

**المقدمة:**

منح الله الجزائر طبيعة خلابة وتضاريس متنوعة، فأضحت تشكل فسيفساء من السهول والهضاب والجبال، ولعل أكثر ما يغلب عليها جبالها (سلسلة الأطلس التلي، سلسلة الأطلس الصحراوي، جبال الهقار، جبال بشار...). ولهذا كانت الجزائر منذ القدم حصنا منيعا على الأعداء الذين تعاقبوا على احتلالها، كما أن الإنسان الجزائري تأثر بهذه التضاريس من خلال رفض المستعمر والخضوع له.

ارتبط الجبل لدى الجزائريين على مر العصور بتاريخ المقاومة والتصدي للأعداء، وتواصل هذا الوضع أثناء الثورة التحريرية الكبرى (1954-1962)، فلم يصبح الجبل مجرد ملجئ أو مخبئ يلجأ إليه أفراد جيش التحرير للاختباء، بل تعددت مهامه واستخداماته، حتى أن الجزائري كان إذا أراد الالتحاق بالثورة فيقول "أنا طالع -صاعد- للجبل"، كما تم تخليد الجبل في الأقوال والأشعار الشعبية والفصحى، ومنها نشيد "من جبالنا" الذي ألفه محمد العيد آل خليفة في عام 1931 وجاء في مطلعته:

مِنْ جِبَالِنَا طَلَعَ صَوْتُ الْأَحْرَارِ ..... يُنَادِينَا لِلْإِسْتِقْلَالِ

يُنَادِينَا لِلْإِسْتِقْلَالِ ..... لِإِسْتِقْلَالِ وَطَنِنَا

وكتب محمد الشبوكي نشيد "جزائرنا" ومما جاء فيه عن الجبل:

جَزَائِرُنَا يَا بِلَادَ الْجُدُودِ ..... نَهْضُنَا نَحْطُمُ عَنْكَ الْقَيْدُودَ

فَفِيكَ بَرَعِمِ الْعِدَا سَنَسُودُ ..... وَنَعْصِفُ بِالظُّلْمِ وَالظَّالِمِينَ جَزَائِرُنَا

سَلَامًا سَلَامًا جِبَالِ الْبِلَادِ ..... فَأَنْتِ الْقِلَاعُ لَنَا وَالْعِمَادُ

وَفِيكَ عَقْدُنَا لِرِوَاءِ الْجِهَادِ ..... وَمِنْكَ زَحْفُنَا عَلَى الْغَاصِبِينَ

وجاء في مقطع آخر:

وَقَائِعُنَا قَدْ رَوَتْ لِلرُّورَى ..... بَأْنَا صَمَدُنَا كَأَسَدِ الشَّرَى

فَأُورَاسُ يُشْهَدُ يَوْمَ الْوَعَى ..... بَأْنَا جَهْرُنَا عَلَى الْمُعْتَدِينَ

سَلُّوا جَبَلَ الْجُرْفِ عَنْ جَيْشِنَا ..... يُخَيِّرُكُمْ عَنْ قُوَى جَائِشِنَا

وَيُعَلِّمُكُمْ عَنْ مَدَى بَطْشِنَا ..... بِجَيْشِ الرَّعَانَةِ الْآثِمِينَ

بِجَرْجَرَةِ الصَّخْمِ خُصْنَا الْعِمَارَ ..... وَفِي الْأَبْيَضِ الْفَخْمِ نَلْنَا الْفَخَارَ

وَفِي كُلِّ فَجٍّ حَمَيْنَا الدِّمَارَ ..... فَتَحْنُ الْأَبَاءُ بَنُو الْفَاتِحِينَ

## 1- إستراتيجية جيش التحرير في حرب الجبال:

أضحى الجبل حتى قبل اندلاع الثورة التحريرية مكانا لتخزين الأسلحة واختباء المناضلين الملاحقين من قبل القوات الفرنسية، خاصة أعضاء المنظمة الخاصة، فاكشف هذا التنظيم الشبه عسكري بعد حادثة تبسة في مارس 1950 اضطر أفرادها اللجوء إلى الجبال بسبب المطاردة الفرنسية لهم<sup>(1)</sup>، وزاد دوره بعد اندلاع الثورة التحريرية، وفي هذا المجال يذكر أحد أفراد جيش التحرير، عبد الرزاق بوحارة، كيف تحول الجبل إلى مكان للقيادة واتخاذ القرارات المصرية المتعلقة بمصير البلاد بعدما كان وكرا للحيوانات المتوحشة فيقول بأنه أضحى "منبع إلهام وتحدد ونمو بالنسبة لقوات الكفاح الشعبي"، ثم يواصل وصفه لهذا التغيير في مهام الجبل قائلا "وفجأة تغير وضع الجبل حيث كان صامتا غريبا، فصار صاحبا وحييا، أنجب ثورة، وولد طينة جديدة من الجزائريين والجزائريات، في أعماق المغارات، وفي المعازل، وفي الأودية الرطبة، وفي قمم الجبال... نحت رجال أفكارا أدت في وقت لاحق إلى ميلاد موجة هائلة تسببت في انهيار الصرح الاستعماري"<sup>(2)</sup>.

وبعبارة أخرى أصبح الجبل بالنسبة لجهة وجيش التحرير مركزا للقيادة والتخطيط للعمليات العسكرية ضد العدو وملجأ للهاربين من سطوة وبطش المستعمر، وأمام ذلك اضطر قادة جيش التحرير إلى تطبيق إستراتيجية عسكرية محكمة، سواء خلال الإقامة بالجبل أو التنقل أو تنفيذ العمليات العسكرية، ويمكن أن نبين هذه الإستراتيجية من خلال النقاط التالية:

### 1-1- التنقل في الجبال:

- التنقل عبر الطرق والمسالك التي لا يمكن للعدو اكتشافها، مع إرسال فرقة من جنود الاستطلاع لتأمين الطريق وكشف أي كمين للعدو.

- اعتماد خطة مضبوطة ومحكمة للتنقل من مكان إلى آخر تقوم على<sup>(3)</sup>:

\* التنقل في أفواج صغيرة تكون متباعدة عن بعضها البعض، قد يصل إلى عشرة أمتار<sup>(4)</sup>.

\* عدم إحداث أي صوت أو حركة أثناء التنقل.

\* التواصل بين الجنود يكون بتقليد أصوات بعض الحيوانات أو الإشارات بالأيدي متفق عليها مسبقا.

\* التوقف لأخذ الأنفاس والاستراحة يكون لمدة قصيرة جدا، ما بين عشر وخمسة عشرة دقيقة.

\* أخذ الحذر والحيطه عند شرب الماء من مجرى أو منبع، فقد يكون ملغما أو مسموما، فكانوا يلجئون إلى دفع الحيوانات للشرب أولا للتأكد من سلامة الماء.

\* اختيار أماكن آمنة للاستراحة مع تكثيف الحراسة حولها.

\* ينام الجندي وهو في حالة تأهب فلا يفارقه سلاحه ولا متاعه، فهو يتوقع حدوث طارئ في أي وقت.

\* يمنع منعا باتا إشعال النار أو استعمال المصاييح خاصة خلال الليل.

\* أخذ الحيطة والحذر عند قطع طريق جبلي أو مجرى مائي.

\* كان الجنود يستعينون بالمدينين المخلصين لتأمين طرق تنقلاتهم في الجبال، فكان هؤلاء عيونهم يؤمنون لهم الطريق ويجرسون القرى، خاصة خلال الليل، يذكر أحد الفرنسيين كان قد رافق الجنود لمدة خمسين يوما بجبال مقاطعة وهران أن هؤلاء كانوا في أغلب الأحيان يضعون فرقة للحراسة كل خمسة كيلومترات تقريبا<sup>(5)</sup>.

لم تكن حياة الجبل سهلة ولا مريحة بالنسبة للمجاهدين، فهي مليئة بالأخطار والصعوبات، وهذا تطلب منهم أخذ الحيطة والحذر في كل شيء حتى لا ينكشف أمرهم، فكانوا يتناوبون على الحراسة في أماكن متقدمة حتى يتمكن الجنود من الهرب في حالة هجوم العدو، كما استعانوا بالحيوانات البرية في تحديد أماكن العدو، فمثلا كانوا إذا شاهدوا هذه الحيوانات، كالخنازير والطيور وغيرها، ترعى بهدوء واطمئنان تأكدا بأن المنطقة آمنة والعكس صحيح، كما كانوا يستغلون حاسة الشم في تتبع تحركات العدو من خلال روائح السجائر أو القهوة. ولجئوا إلى قتل الكلاب حتى لا ينكشف أمرهم، فيقول أحد الجنود "تلك الكلاب التي حاربتها حتى كدنا نقضي عليها في الجبال، لأنها كانت تنبح عند مرور المجاهدين ليلا في الدواوير وتمكن الجيش الفرنسي على تحديد مواقعهم"<sup>(6)</sup>.

## 1-2- التطبع مع تضاريس الجبل:

استطاع أفراد جيش التحرير استغلال الجبل كميدان لقتال العدو وتمكنوا من كسب التفوق في ذلك، حيث وضعوا استراتيجية حربية تقوم على نصب الكمائن واعتماد حرب الكر والفر -حرب العصابات- وكذا زرع الألغام في الأماكن التي يمر عبرها جنود الاحتلال كالمعابر الجبلية والجاري المائية والجسور وطرق السكك الحديدية، وتخلد المصادر المكتوبة والشفوية نماذج كثيرة من معارك الجبال التي أبدى فيها جنود التحرير بطولة وتفوقا كبيرا على جيش العدو مثل معركة الجرف ومعركة جبل بوكحيل وجبل ثامر التي استشهد فيها العقيد عميروش وسي الحواس.

إن حياة الجبل استدعت من أفراد جيش التحرير التكيف مع هذا الوضع في كل شيء، سواء في التنقل كما ذكرنا سابقا أو طريقة اللباس الذي كان خفيفا يساعد على الحركة والمناورة، ونفس الشيء بالنسبة للسلاح، في حين كانت تحركات العدو تتميز بالبطء والصعوبة بسبب ثقل العتاد وكذا اللباس الذي يرتديه الجندي الفرنسي، لقد جاء في أحد التقارير الفرنسية "إذا تقدم العدو داخل هذه المنطقة -أي الجبال- بواحد كيلومتر فإن المجاهدين يتحركون عشرة كيلومترات في نفس الوقت"<sup>(7)</sup>، ويؤكد أحد الفرنسيين هذه الحقيقة حين يذكر أنه كان بإمكان المجاهدين أن يقطعوا مسافة سبعين كيلومترا في الليلة الواحدة، كما أنه بإمكانهم الاختباء بسرعة فائقة<sup>(8)</sup>. ويضاف إلى كل ما سبق أن المجاهدين كانوا متعودين على حياة الجبال الصعبة فهم يكتفون بالقليل من الأكل الذي لا يتعدى في معظم الأحيان قطعة خبز وشربة ماء<sup>(9)</sup>.

تذكر شهادات كثير من المجاهدين أن الجيل أصبح يوفر كل مستلزمات الحياة للجنود كالمأوى والغذاء وأماكن التدريب، وفي هذا المجال كان للمدنيين المقيمين في هذه المناطق الجبلية مساهمة كبيرة في إمداد الجنود بكل ما يحتاجون إليه من مستلزمات، كما كان لهم دور في توفير الأمن والحراسة، حتى أن أحد ضباط جيش التحرير خاطب جنوده يوما قائلاً "لا تنسوا بأننا لا نريد أن نتسبب في تعذيب المدنيين... كلما أخبرتكم بمقدم العدو وجب عليكم الابتعاد عن المشاتي والديار حتى لا يسلط الجنود الفرنسيون تعذيبهم على الأهالي العزل"<sup>(10)</sup>، نستنتج من هذا القول أن الضريبة التي كان يدفعها المدنيون مقابل دعمهم للمجاهدين كانت باهظة، وهذا ما يظهر من خلال المناطق المحرمة التي أقامتها فرنسا في كامل جهات الوطن بهدف تخفيف مصادر الدعم للجنود جيش التحرير، وكانت تتعرض لقصف مستمر.

## 2- المخابئ (المغارات والكهوف)

كان لها دور كبير في الاستراتيجية الحربية المعتمدة من قبل أفراد جيش التحرير، لقد كانت أماكن للراحة والاختباء والعلاج والاجتماعات لاتخاذ القرارات المصيرية ذات الصلة بالثورة ومستقبل الجزائر، وكذا كل الظروف التي تفرضا حياة الجبال القاسية، ويمكننا أن نميز بين نوعين من المخابئ:

1- مغارات طبيعية: وهي تلك التي صنعتها الطبيعة على مر السنين، فاستغلها المجاهدون في أعمالهم الجهادية.

2- الاصطناعية -أو الكازمات- :



وهي تلك التي قام المجاهدون بحفرها بمساعدة السكان، وللإشارة لم يكن يسمح لكل الأشخاص بالمشاركة في عملية الحفر بل يقتصر الأمر على أولئك الذين كان يراعى فيهم الإخلاص والأمانة. كانت المخابئ تحفر في أماكن يصعب على العدو اكتشافها، وهناك بعض الكهوف التي يعود تاريخها إلى فترات قديمة جدا، حيث وجدت في منطقة أوراس النمامشة كهوف يعود تاريخها إلى العهد الروماني استغلها الجنود للاختباء وتخزين الأسلحة والمؤن، وقد ضمت غرغا متصلة مع بعضها البعض بواسطة أروقة ضيقة، وبها فتحات للتهوية مغطاة بالأحجار<sup>(11)</sup>.

تطلب الشهادات في وصف الحياة داخل المغارات، فهي تضم عددا من الغرف تتصل ببعضها البعض عن طريق أروقة ضيقة - كما سبق ذكره - وتتصل بالعالم الخارجي عن طريق فتحات ومداخن للتهوية، يتم تمويهها بواسطة أحجار ونباتات حتى لا يكشفها العدو، ويظهر أنها كانت محكمة التمويه لا يستطيع العدو كشفها إلا بالوشاية، ولهذا لم يكن الجنود في مأمن حتى داخل هذه الكهوف الجيدة التمويه.

لم يكن حفر الكهوف يتم عشوائيا وفي أي مكان بل يراعى في ذلك مجموعة من الشروط منها<sup>(12)</sup>:

- يتم حفرها عند جذوع الأشجار لاستغلالها كمنافذ للتهوية.
- قرب مجاري المياه وهذا حتى يجرف الماء الأتربة التي تستخرج عند حفر الكازمة، لأن بقاء الأتربة قد يؤدي إلى اكتشاف المكان.

- مراعاة نوعية الصخور والتربة، فيجب ألا تكون من النوع الصلب كالغرانيت أو البازلت الذي يصعب حفره، بل يجب أن تكون كلسية، فيتم حفر بيوت تشبه خلايا النحل، وكان كل بيت يتسع لما بين ثلاثة أو أربعة أشخاص، وتتصل مع بعضها البعض بواسطة ممرات ضيقة لا تسمح إلا بمرور شخص واحد فقط<sup>(13)</sup>.

وإضافة إلى الكهوف الكبيرة، لجأ جنود جيش التحرير الوطني إلى حفر حفرات في سفوح الجبال عمقها حوالي المترين لها باب خشبي يفتح نحو الأعلى، ويتم إخفاؤه بوضع التراب فوقه مع غرس الحشائش الخضراء التي تستبدل كلما ذبلت<sup>(14)</sup>.

كيف كانت حياة الجنود داخل المغارات؟ لا يمكننا أن نجزم أن حياة الجنود كانت بسيطة داخل هذه الكهوف، فهي حياة صعبة تشوبها المخاطر في كل الأوقات ومن كل الجهات، غير أن المجاهدين عملوا على إخفاء هذه الأماكن وخاصة فتحات المغارات بشتى الوسائل والطرق ومنها على سبيل المثال<sup>(15)</sup>:

- تغطية مداخلها بالحشائش والأتربة.

- رش محيط المدخل بالتوابل لمنع كلاب الشرطة وجيش التحرير من اكتشافه.

- اقتصار عدد المتواجدين داخل المخبأ على عدد قليل لا يتعدى في أغلب الأحيان خمسة جنود، رغم أن هذا المخبأ يتسع لحوالي ثلاثين شخصا، والغرض من ذلك تفادي الخسائر الكبيرة في الأرواح.

- بقاء الجنود داخل المخبأ طيلة النهار ولا يخرجون منه إلا ليلا، بعدما يقوم أحد المدنيين المخلصين بفتحه.

- نحو آثار أقدامهم عند الخروج من الكهف أو العودة إليه<sup>(16)</sup>.

ويضاف إلى ما ذكر سابقا أن هذه المغارات لم تكن أماكن ملائمة للإقامة فهي قليلة التهوية والإضاءة، جعلت المقيمين فيها يشعرون بالاختناق، حتى أضحي كل شيء يثير غضبهم فينشب الخصام بينهم لأتفه الأسباب<sup>(17)</sup>.

ويبقى أكبر خطر يهدد المجاهدين بداخل المغارات والملاجئ أن يتم اكتشافه من قبل قوات العدو الفرنسي، فبمجرد أن يكتشف المكان يلجأ العدو إلى استعمال كل الوسائل للقضاء على من فيه من الجنود، ومنها على سبيل المثال<sup>(18)</sup>:

- فتح المدخل وإلقاء القنابل والزجاجات الحارقة على من يوجد من المجاهدين.

- تفجير المدخل مما يؤدي إلى استشهاد عدد كبير من الجنود وأسر من ينجو من الموت، ومن يبقى داخل المغارة يموت جوعا أو اختناقا.

- سكب البترين داخل المغارة وإشعال النار فيها.

- دفن الجنود أحياء داخلها.

إن أبرز مثال على معاناة الجنود داخل هذه الكهوف والغارات، ما حدث للقائد شيهاني بشير مع حوالي أربعين من رفقاته أثناء معركة الجرف في شهر سبتمبر 1955 لما لجئوا

إلى مغارة في أسفل المنحدرات الصخرية وبقوا مأسورين داخلها لمدة ستة أيام، فعند اقتراب العدو منهم لجئوا إلى بئر عمقها عشرة أمتار، قام الفرنسيون بتفجير المدخل، فدفن شيهاني ورفاقه داخله أحياء، ولم يتقدمهم إلا قدوم فرقة من الجنود دلتهم على ممر ضيق مما أمكنهم من الخروج سالمين<sup>(19)</sup>.

### 3- المنشآت الصحية:

ضمت الجبال إلى جانب نشاطها الحربي أنشطة أخرى، فشكلت ما يشبه الدولة بمختلف مؤسساتها، ومن بين الأنشطة التي أولتها جبهة التحرير أهمية خاصة، تلك المرتبطة بالجمال الصحي، فكان الأطباء والمرضون يمارسون مهنتهم داخل المغارات والمخيمات في أماكن يصعب على العدو الوصول إليها.

تذكر المصادر أن أول مركز صحي أقيم بالمنطقة الأولى في عام 1955 في غابة البراحة، وبالضبط في منطقة كيمل التي كانت تضم قيادة المنطقة، وكان هذا المركز الصحي عبارة عن مخبئ (كازمة) حفرت تحت الأرض وتم تمويهها بإحكام باستعمال الحجارة والحشائش. لم يكن هذا المركز يتوفر إلا على بعض الأدوات البسيطة مثل الحقن وعلب الأدوية ووسائل بسيطة أخرى، يعمل به ممرضان، واحد بصفة دائمة والآخر يستعان به وقت الحاجة<sup>(20)</sup>. كما اتخذت عدة إجراءات أمنية مشددة، فمثلا كان يشترط ألا يبقى المريض في المركز الصحي إلا ثلاثة أيام، ربما أصحاب الحالات الغير مستعصية، كما يمنع منعاً باتاً أن يعالج المريض في منطقة غير تلك التي يتبع لها إلا بإذن من مسئوليه<sup>(21)</sup>.

لقد عانى أطباء جيش التحرير وممرضوه من قلة الأدوات الجراحية وكذا الأدوية، خاصة تلك المستعملة في علاج الجروح والإصابات، ومن أسباب هذه الندرة تلك الإجراءات الصارمة المطبقة من قبل السلطات الفرنسية في بيع وتوزيع هذا النوع من الأدوية "إن السلطات الفرنسية قد قررت منذ شهور الكفاح الأولى تطبيق الحجر على أدوية علاج الالتهابات وعلى الإثير Ether والكحول والحقن المضادة للكلزاز... وعلى الجزائري الراغب في الحصول على أحد هذه الأدوية أن يقدم إلى الصيدلي المعلومات المفصلة عن حالته الشخصية وعن هوية المريض الشخصية"<sup>(22)</sup>.

وإلى جانب المراكز العلاجية الصغيرة وجدت مراكز كبرى عبارة عن مستشفيات تضم عددا كبيرا من الجرحى والمرضى، وكانت بعيدة عن أعين ومرمى الطائرات الفرنسية، كما وجدت مراكز صحية مؤمنة بشكل جيد لا يمكن للعدو اكتشافها، واستعملت لإقامة المرضى أصحاب الحالات المستعصية الذين يصعب نقلهم وكذا لتخزين الأدوية والمؤن بكميات كبيرة<sup>(23)</sup>.

وعموما فإنه كان يراعى في إقامة المراكز الصحية بعد المكان عن أعين العدو وعملائه، لأن اكتشافه كان سيؤدي إلى خسائر بشرية ومادية كبيرة لصعوبة نقل الجرحى والعتاد بسرعة قبل وصول العدو، فكانت تقام في مخابئ تحت الأرض أو وسط الغابات بين الأشجار العالية والكثيفة أو داخل التجمعات السكانية الموجودة قرب الجبال، فيتم حفر مخبئ داخل أحد المساكن ثم يخبأ بإحكام<sup>(24)</sup>، وقد يضطر الجنود في كثير من الأحيان إلى ترك أحد جرحاهم لدى بعض العائلات الجزائرية لإسعافه إذا كانوا في عجلة من أمرهم على أن يعودوا

لأخذه بعد إهاء مهامهم، وهو ما حدث في إحدى المرات من عام 1955 في إحدى قرى جبال منطقة القبائل الكبرى، لما انسحب المجاهدون من معركة وهم يحملون معهم جنديا أصيب بجروح بليغة، حيث تركوه لدى امرأة رغم أن زوجها كان متعاملا مع الفرنسيين<sup>(25)</sup>.

خضعت هذه المراكز لحراسة شديدة ومستمرة لمدة أربع وعشرين ساعة لاستراتيجيتها وطبيعة الأشخاص المتواجدين بها، وكانت كلمة السر تتغير باستمرار من وقت لآخر، وكانت الأدوية و العتاد الطبي يوضع في أكياس، والغرض من ذلك تسهيل إخلاء المكان في حالة الخطر، لأنه لم يكن أمام المتواجدين في المركز إلا وقت قصير لإخلائه، قد لا يتعدى العشرين دقيقة، في الوقت الذي تبقى فرقة من المجاهدين تناوش قوات العدو لعرقلة تقدمه ومنح الوقت للآخرين للانسحاب بأمان<sup>(26)</sup>.

وإذا أردنا أن نبين أنواع المراكز الصحية التي أنشأها قادة الثورة التحريرية، فنحدها في نوعين أساسيين هما<sup>(27)</sup>:

- مراكز صحية مستقرة نسبيا، وبعبارة أخرى أنها كانت موجودة بعيدا عن خطر العدو.
- مراكز صحية غير ثابتة متنقلة بشكل مستمر، ويظهر أنها كانت موجودة في المناطق التي تكثر فيها المواجهات بين الطرفين.

#### 4- رد الفعل الفرنسي:

في بداية الأمر واجهت قوات الاحتلال صعوبات كبيرة في التأقلم مع حرب الجبال ضد أفراد جيش التحرير، ولكن بعد مرور الوقت لجأت إلى تطبيق إستراتيجيات بمدف التكيف

مع هذا النوع من القتال وملاحقة المجاهدين في كل مكان، وعلى سبيل المثال تلك الخطة التي طبقها الجنرال شال Challe، وارتكزت على إنزال الجنود في أعالي الجبال بواسطة طائرات الهليكوبتر، ومن هناك يهبون نحو الأسفل وفي نفس الوقت وجدت قوات تصعد من أسفل الجبل نحو الأعلى بغرض محاصرة أفراد جيش التحرير ووضعهم بين فكي كاماشة، وبعد نهاية التمشيط يعسكر جنود الاحتلال لحوالي شهر وطيلة اليوم بغرض منع المجاهدين من العودة إلى المنطقة، ويظهر أن فرنسا استطاعت مع مرور الوقت أن تمشط كل الجبال حتى أضحت "الجبال الضخمة أصغر من علب الكبريت" (28).

وإلى جانب ما سبق ذكره، لجأت قوات الاحتلال إلى حرق الغابات باعتماد سياسة الأرض المحروقة، والغرض من ذلك جعل المناطق الجبلية مكشوفة لطائراتها وجنودها، إلا أن المجاهدين ابتكروا طرقا جديدة للاختباء والتأقلم مع الوضع الجديد، وكثيرا ما كانوا يستبشرون بقدوم فصل الشتاء الذي سيحجر فرنسا على إيقاف عملية حرق الغابات، كما أن سقوط الأمطار والثلوج وطول ساعات الليل كلها ساهمت في عرقلة تحركات العدو بالجبال (29).

ويضاف إلى ما سبق ذكره أن جيش التحرير واجه العمليات العسكرية الفرنسية بسلسلة من الهجمات التي حقق من خلالها انتصارات باهرة، ومنها على سبيل المثال تلك المعركة التي شهدها جبل "الدير" قرب مرسط بمنطقة سدراته، وكانت عبارة عن اشتباك عنيف بين أفراد جيش التحرير والقوات الفرنسية حقق خلاله المجاهدون نصرا كبيرا حيث تمكنوا من قتل حوالي مائتين وخمسين فرنسيا وإسقاط طائرتين من نوع موران Morane وأخرى من نوع "ب 26-B26"، في حين كانت خسائر جيش التحرير ثلاثة شهداء، كما شهد جبل "المازوزية" بنفس المنطقة اشتباكا استعملت فيه القوات الفرنسية الطائرات والمدفعية

الثقيلة، وانتهى بمقتل ستة جنود فرنسيين وسقوط طائرة استطلاع خفيفة، كما استشهد ستة مجاهدين<sup>(30)</sup>.

وقد يرى الكثير أن هناك مبالغة في تحديد عدد القتلى جنود العدو، غير أن شهادة أحد الفرنسيين الذين عايشوا الوضع في الجبال يؤكد ذلك حين يقول "فإني شاهدت بأن معدل الخسائر الفرنسية يتراوح ما بين الخمسة والعشرة جنود فرنسيين مقابل نائر واحد فإني أعتقد أن تقديري هذا لا يمكن أن يكون خاطئا وإذا فرضنا أنه خاطئ فإنه أقل من الواقع. إنه واجب على كل حكومة فرنسية تدعي فض المشكل الجزائري بالوسائل العسكرية أن تصرح للشعب الفرنسي بأنها على استعداد للتضحية بمائة ألف شاب فرنسي"<sup>(31)</sup>.

لم يقف جنود جيش التحرير مكتوفي الأيدي ولم يستسلموا للأمر الواقع، بل كيفوا خططهم الحربية مع الإستراتيجية الحربية الفرنسية، فابتكروا طرقا حربية لإفشالها، ومن ذلك على سبيل المثال أنهم قاموا بوضع جذوع الأشجار الضخمة في الأماكن التي كانت تحط بها طائرات الهليكوبتر لمنعها من إنزال الجنود، ووضع الكمائن في المناطق التي يمر عبرها الفرنسيون الذين كان ينتابهم الخوف رغم كل ما توفر لهم من عتاد، فكان الموت يتربصهم من كل الجهات باعتبار أن جيش التحرير كان يتحكم في المكان بشكل جيد لتعوده على حرب الجبال<sup>(32)</sup>.

#### الخاتمة:

وخلاصة القول أن جبال الجزائر ساهمت بقسط وثير في انتصارات جيش التحرير، الذي عرف كيف يستغل هذا الفضاء لتحقيق التفوق والانتصارات المتتالية ضد قوات العدو،



إن فرنسا عملت جاهدة للسيطرة على الجبال مستعملة من أجل ذلك كل الطرق والوسائل، حتى المحرمة دوليا مثل النابالم والقنابل الحارقة، كما سعت إلى إخلاء الجبال من سكانها بهدف عزل جنود جيش التحرير، إلا أن كل هذه الأساليب باءت بالفشل، وبقي الجبل يمثل رمزا للمقاومة والصمود إلى غاية الاستقلال.

### الهوامش

- 1- Benyoucef Ben Khedda. **Les origines du 1<sup>er</sup> Novembre 1954**. Edition Dahleb, Alger, 1989, pp. 152- 160.
- 2- بوحارة عبد الرزاق، **منابع التحرير: أجيال في مواجهة القدر** (ترجمة صالح عبد النور، تقدم ونيسي زهور)، دار القصة للنشر، الجزائر، 2006، ص 91.
- 3- Guentari Mohamed. **Organisation politico-administrative et militaire de la révolution Algérienne de 1954 à 1962**, volume 2, 4<sup>ème</sup> édition. OPU, Alger, 2011, p p. 818- 820.
- 4- **جريدة المقاومة**، العدد 5، 12 يناير 1957.
- 5- نفسه.
- 6- شايد حمود، **دون حقد ولا تعصب: صفحات من تاريخ الجزائر المحاربة** (ترجمة كابوية عبد الرحمن وسالم محمد)، دار دحلب، الجزائر، 2010، ص 181.
- 7- كافي علي، **مذكرات الرئيس علي كافي: من المناضل السياسي إلى القائد العسكري 1946-1962**، طبعة ثانية منقحة ومزودة، دار القصة للنشر، الجزائر، 2011، ص 125.
- 8- **جريدة المقاومة**، العدد 5، 12 يناير 1957.
- 9- قداش محفوظ، **وتحررت الجزائر** (ترجمة العربي بونون)، دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، 2011، ص 94
- 10- **جريدة المقاومة**، العدد 5، 12 يناير 1957.
- 11- قداش محفوظ، **المرجع السابق**، ص 33-34.
- 12- نفسه، ص 146.
- 13- بوحارة عبد الرزاق، **المصدر السابق**، ص 106-107.

- 14- قليل عمار، ملحمة الجزائر الجديدة، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، دار البعث، قسنطينة، 1991، ص 212.
- 15- قداش محفوظ، المرجع السابق، ص 146.
- 16- قليل عمار، المرجع السابق، ص 212.
- 17- بوحارة عبد الرزاق، المصدر السابق، ص 107.
- 18- ينظر: بوحارة عبد الرزاق، المصدر السابق، ص 157 وكذلك: قداش محفوظ، المرجع السابق، ص 147.
- 19- قداش محفوظ، المرجع السابق، ص 33. وكذلك: بوحارة عبد الرزاق، المصدر السابق، ص ص 110 - 111.
- 20- قليل، الجزء الثاني، ص 281.
- 21- Guentari Mohamed. **Op. Cit**, p. 290.
- 22- فانون فرانز، العام الخامس للثورة الجزائرية (ترجمة ذوقان فرقوط)، دار الفارابي (بيروت)، الوكالة الوطنية للنشر والإشهار (الجزائر)، الطبعة الأولى، 2004، ص 150.
- 23- Guentari Mohamed. **Op. Cit**, p. 340.
- 24- قليل عمار، المرجع السابق، ص 285.
- 25- للإطلاع على الواقعة بشكل مفصل يمكن الرجوع إلى: جريدة المقاومة، عدد 4، 24 ديسمبر 1956.
- 26- Guentari Mohamed. **Op. Cit**, p. 340.
- 27- شايد حمود، المصدر السابق، ص 219.
- 28- قليل عمار، المرجع السابق، ص 209.
- 29- جريدة المقاومة، العدد 5، 12 يناير 1957.
- 30- جريدة المقاومة، العدد 2، 15 نوفمبر 1956.
- 31- جريدة المقاومة، العدد 5، 12 يناير 1957.
- 32- قليل عمار، المرجع السابق، ص 209.